مقدمة الترجمة

بقلم الأستاذ محمد فريد أبى حديد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله .

و بعد ، فان العظماء فى التاريخ كالأحياء فى هـذه الدنيا يختلف بعضهم عن بعض فى الحظوظ ؛ فالأحياء يختلفون فيما يصيب كل منهم من المال أو الجاه أو الشهرة ، وعظماء التاريخ يختلفون فيما تصيب ذكرياتهم من التقدير والتمجيد والتخليد . ولكن ذلك الاختلاف لا يمكن أن يجعل مقياساً للحقيقة ، فإنما مرجع ذلك كله إلى حكم الناس و إلى أنواع الموازين التى يزنون بها قيمة الأشخاص . وقد اختلفت تلك الموازين منذ القدم فهى تتباين فى بعض العصور المتباينة بحسب اتجاه الميول فى تلك العصور .

لهذا لا يصح أن يعد تقدير التاريخ لبطل من الأبطال فى حقبة من الدهر دليلاً على حقيقة مقدار ذلك البطل . فقد يتغير ذلك التقدير فى حقبة أخرى ، ولو طال الأمد على ذلك ؛ فإن الشاعر الإنجليزى الكبير شيكسبير مثلاً لم يكن له خطر عظيم فى بلاده فى أثناء حياته ولا بعد موته ؛ حتى مضى أكثر من قرن بعد ذلك ، ثم بدأت الأعين تتفتح إلى عظمته فى بلاد غير بلاده وشعب غير شعبه ، وعند ذلك عاد إليه تقديره الحقيق .

ولسنا فى حاجة إلى الإطالة فى هذا المعنى ولا إلى التدليل على صحته ، وإنما نقصد من قولنا أن نبين أن تاريخ البطل المصرى الكبير إبراهيم باشا لم يلق إلى الآن ما هو جدير به من العناية ، ولم ترتفع ذكراه إلى المحل الذى كان يجب أن تسمو إليه . وكان لهذا سبب واحد ، وهو أن العصر الذى عاش فيه إبراهيم والعصر الذى تلا ذلك كان متجهاً بأنظاره واهتمامه إلى شخصية أخرى شغلت كل الأذهان واستولت على كل الألباب وهى شخصية الرجل العظيم محمد على باشا .

وكان إبراهيم باشا ممتازا بصفة غلبت عليه وهى إيثاره لأبيه وإكباره له ؛ فكان لا يحب أن يذكر اسمه إلا مقترناً باسم مولاه ، ولا يرضى عن أن ينسب إليه فضل بل أن ينسب كل الفضل إلى والده الذى يلهمه ويوجهه ويقوده . وبذلك انمحت شخصيته فأصبح فى الدولة والجيش والتاريخ أحد الأشخاص الذين ساعدوا واشتركوا وعملوا فى إقامة الصرح الذى اعتلاه الرجل الفذ محمد على باشا .

ولا يسعنا إلا أن نعجب بهذا الإيثار الكريم وهذا الخلق النبيل ، ولكننا مع ذلك نرى أن الأيام لو تقدمت بإبراهيم قليلا أو تأخرت فلم يعاصر أباه الكبير ، لكانت صورته أكثر وضوحا وشخصيته أكثر بروزا .

وإنه ليسرنا أن تتفتح العيون بعد مضى قرن على وفاة ذلك البطل إلى ذكراه مرة أخرى ، ويبدأ البحث متجهاً إليه خاصة ليجلو سيرته للناس رغم النور الباهر الخاطف الذى ينبعث من أبيه ، لكى يظهر لهم حوادث حياته ووصفها وتحليلها .

وإنه لمن المعجب فى هذا الكتاب الذى بين أيدينا أنه يصور قائد جيوش مصر صورة جديدة لم يحاول فيها مجاملة ولا تجميلا ؛ فأبرز مثلا ما كان متصفاً به من القسوة فى مبدإ حياته ثم بين كيف زالت منه تلك القسوة عندما أصبح قائد الجيوش المصرية الأعلى ؛ وكيف صار زميل الجندى المصرى وصديقه بعد أن

جمعت بينهما أواصر المجد و بعد أن قابلا معاً ما واجههما من الأخطار والمشقات ، كما أبرز ما كان بين إبراهيم وأبيه من خلاف أساسى فى وجهات النظر ، وكيف كان إبراهيم مصريا فى عاطفته وعقله ، فى حين كان أبوه إسلاميا فى هاتين الناحيتين .

ولسنا نستطيع أن نأتى هنا على سائر مميزات الصورة الجديدة ، فإنما نمثل بهذين المثلين لما يشيع فى الكتاب من نواحى البحث المستفيض .

و إنا نرى أن هذا الكتاب هو خير كتاب لمؤلفه ، لأنه لم يحاول فيه أن يكون محامياً ، بل كان كل همه فى البحث والتصوير والتحليل .

وقد قام بترجمة هذا الكتاب عن الإنجليزية الأستاذ الجليل محمد بدران ، وهو حجة فى اللغتين العربية والإنجليزية ، فأضاف بذلك ثروة جليلة إلى تاريخ مصر و إلى لغة العروبة ، كما أضاف من قبل إليها بما ألف وما نقل من اللغة الإنجليزية من نفيس الكتب .

ومما يدعو إلى الإعجاب أن قارئ هذه الترجمة لا يكاد يتنبه إلى أنه يقرأ ترجمة لكتاب إنجليزى إلا حيث يعثر بتشبيه إنجليزى المنبت أو تعبير أجنبى الأرومة . فالأسلوب العربى المتين الذى يجمع بين السلاسة والقوة يكاد ينسى القارئ أنه يقرأ كتابا منقولا إلى العربية غير أصيل فيها . وهذه الترجمة شاهد عدل بما بذل الأستاذ المعرب فيها من جهد ، فإنه قد رد النصوص العربية الأصل إلى أصولها ، وصحح الأعلام وكانت فى كثير من الأحيان محتاجة إلى التصحيح ، وأكمل المتن بالشرح والتعليق والتعقيب .

وقد ضمت لجنة التأليف والترجمة والنشر بطبع هذا الكتاب القيم حلقة ذهبية فى سلسلتها المجيدة التى لاتزال تميها وتزيد فيها زيادة مباركة فى خدمة العلم والثقافة العامة .

يوليه سنة ١٩٣٧

مقدمة

محمد على غنى بشهرته عن التعريف ؛ فقد بهرت شخصيته الرائعة كثيراً من الكتاب فعنوا عناية كبيرة بوصفها و إبرازها للناس . وسمح بعضهم لإبراهيم ابن محمد على أن يظهر على مسرح السياسة ، ولكنهم اختصوه بدور غامض بعض الغموض أو كله ، فجعلوه السيف البتار فى يد أبيه الفطن الأريب ، وصوروه بصورة الرجل الذى لا علم له بالشؤون السياسية ، وكأنه لم يكن إلا جنديا صخابا ، اتفق أن كانت مواهبه العسكرية أرقى من مواهب من كان يحارب بهم من القواد .

لذلك كتبت هذا الكتاب لكى أحق الحق وأظهر ما فى هذا الاعتقاد من خطأ . ولست أقصد به إلى الحط من قدر محمد على ، بل أقصد توكيد الدور الذى اضطلع به إبراهيم فى الشؤون العامة .

وقد جعلت مصر موضع بحثى ؛ ولكننى اضطررت إلى أن أخوض غمار السياسة الأوربية العليا فى الفترة الواقعة بين سنتى ١٨٢٠ — ١٨٤١ .

وهذا الكتاب يشهد بفضل الملك فؤاد ملك مصر الحاضر و بعد نظره وواسع علمه ؛ فهو الذى جمع الوثائق التى تتكون منها الآن محفوظات سراى عابدين الخاصة بحكم محمد على ، والتى وجدت فيها تلك المادة الوافية التى اقتبست منها ما اقتبست فى هذا الكتاب . و إنى أتقدم بوافر الشكر وعظيم الاحترام

إلى جلالته ، إذ أجاز لى أن أستعين بهذه السجلات كلما شئت من غير قيد ولا شرط .

وقد أشرت فى مواضع متعددة من هذا الكتاب إلى ما نشر حديثاً من صور التقارير الرسمية الموجودة فى وزارة الخارجية الفرنسية والقنصليات اليونانية والروسية والفرنسية ، فضلاً عن التقارير التى كانت تحويها محفوظات الدول التى تتكون منها الآن مملكة إيطاليا . وقد أنفق جلالة الملك فؤاد مبالغ طائلة من ماله الخاص فى جمع هذه المراجع ونشرها ، بعد أن كانت متفرقة مبعثرة فى كثير من البلاد ، وبعد أن كان الوصول إليها فى بعض الأحيان متعذراً أو فى حكم المستحيل . ففى كل صفحة من صفحات هذا الكتاب إذن شاهد على تفكير الملك فؤاد وابتكاره ؛ وإنى لمدين له بالشكر الجزيل .

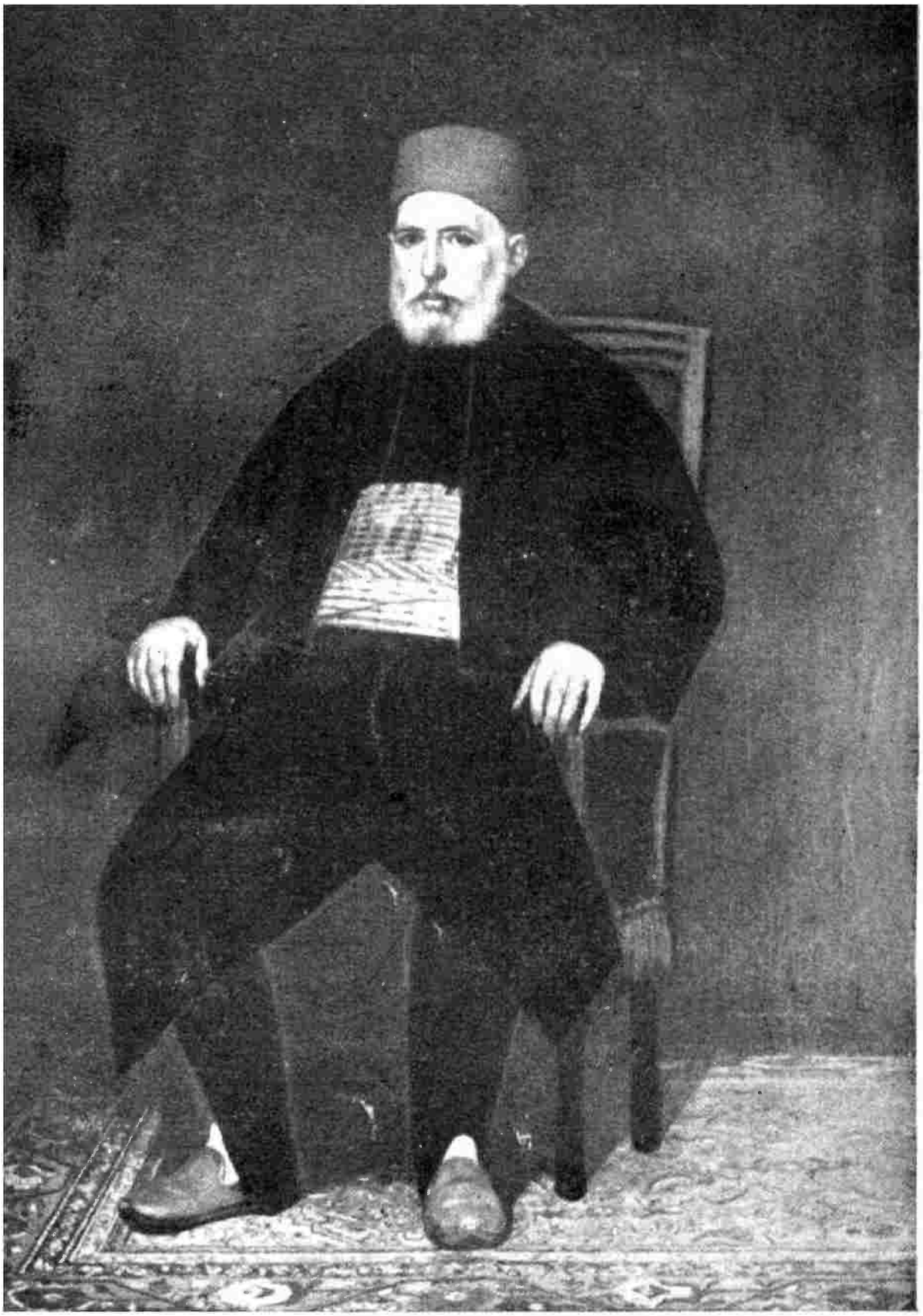

إبراهيم باشا